

www.nokbah.com



صفر 1432 هـ | 12-2011 م

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

١٤٣٢ هـ

خطبة عيد الأضحى المبارك

لفضيلة الشيخ/ أبي يحيى الليبي (حفظه الله)

- إنتاج : مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي
- النوع : إصدار مرئي
- المدة : ٤٥ دقيقة
- الناشر : مركز الفجر للإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيِّ
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

يقدم

تفريغ الإصدار المرئي

خطبة عيد الأضحى لعام 1432هـ

لفضيلة الشيخ/ أبي يحيى الليبي (حفظه الله)

الصادر عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي
3 صفر 1432 هـ
12/28/ 2011 م

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله وصفيُّه من خلقه وخليله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اهتدى بهديه وسار على سنته إلى يوم الدين، ثم أما بعد؛

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي شرح صدورنا لدينه القويم، وهدانا ووفَّقنا لسلوك صراطه المستقيم، وجعلنا من أتباع سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الإخوة الأحباب، لقد منَّ الله سبحانه وتعالى علينا بهذا الدين العظيم وبهذه الشريعة الجليلة الكاملة، ومنَّ الله سبحانه وتعالى وأكرمنا بأن نكون من أتباع خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، فيسَّر لنا أن نسير على طريقته، وأن نهتدي بسنَّته، وأن نتمسَّك بشريعته، وأن نعتزَّ بدينه الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إليه، فنطقنا بهذه الكلمة العظيمة منشرحةً لها صدورنا، طيِّبةً بها قلوبنا، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله.

هذه الكلمة الجليلة التي عليها ميزان الحساب يوم القيامة، من وفَّقه الله عز وجل للقيام بحقِّها والإتيان بلوازمها والتمسك بها والإخلاص فيها فهو الناجي الموفَّق يوم القيامة، ومن ضيَّعها فلم يرفع بها رأسًا ولم يعرف لها قدرًا؛ فأشرك بالله سبحانه وتعالى واتخذ معه آلهةً أخرى –أيَّ آلهة كانت– فإنه هو الخاسر وذلك هو الخسران المبين.

هذه الكلمة كلمة الشهادة –لا إله إلا الله– ما أرسل الله سبحانه وتعالى نبيًّا من الأنبياء ولا رسولاً من الرسل إلا ليدعو إليها، كلمة التوحيد، توحيد الله عز وجل في ذاته وفي أفعاله وفي أسمائه وفي صفاته وفي ربوبيته وفي ألوهيته سبحانه وتعالى، فدعا الأنبياءُ إلى عبادته ونبذ ما سواه من الآلهة والطواغيت كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

هذه الكلمة التي نطقتها كثيرٌ من الألسن ولكن لم تعرف حقيقتها ولم تؤدِّ واجباتها، وذلك لا فائدة

منه، ولن ينتفع بها صاحبها يوم القيامة إلا من أخلص فيها.

فدعوة الأنبياء جميعًا وعلى رأسهم خاتمهم وسيِّدهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم هي الدعوة إلى عبادة الله عز وجل ونبذ ما سواه من الآلهة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

هي دعوة العبودية لله عز وجل، عبوديةٌ بمحبةٍ وخضوعٍ واستسلامٍ وانشراح صدرٍ وتسليمٍ لأحكامه عز وجل.

وعبادة الله سبحانه وتعالى هي الغاية الشريفة والمقصد النبيل الذي خُلِق لأجله الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ ما خلق الله عز وجل الإنس والجن إلا ليعبدوه سبحانه وتعالى، إلا ليوحدوه، إلا ليطيعوه عز وجل.

ومما شرعه الله سبحانه وتعالى لنا من العبادات؛ هذا اليوم المبارك –عيد الأضحى– هذا اليوم الذي نجَّى الله سبحانه وتعالى فيه عبده ورسوله ونبيَّه إسماعيل من الذبح، فبقيت سنةً إلى يومنا هذا.

هذا اليوم يوم عيد الأضحى نستقبله في هذه السنة ليس كغيرها من السنوات، نستقبله وأمة الإسلام قد بدأت تلوح لها في الأفق وتظهر لها في الآفاق علامات التمكين والنصر والفتح المبين بإذن الله.

هذا اليوم يوم الأضحى المبارك نستقبله وقد بدأت أمم الكفر تتهاوى وتترنَّح وتتساقط واحدةً تلو الأخرى، بعد أن وفَّق الله سبحانه وتعالى ويسَّر لعباده المجاهدين أن يصبروا في هذه المعركة الطويلة المريرة، وأن يدفعوا فيها كل ما يستطيعون من أنفسهم وأشلائهم وأموالهم، فكانت هذه النتيجة التي أوصلنا الله إليها بفضله ومنَّته وكرمه وتوفيقه عز وجل.

إذن هذه السنة قد وقعت فيها أحداثٌ عظام، نقف عليها وقفات مختصرات بما يقتضيه هذا المقام.

فأول هذه العلامات أو أول هذه الإرهاصات أو أول هذه الأحداث العظام التي يحاول الكفر أن يغطِّيها وعلى رأسهم أمريكا المتهاوية؛ هو هزيمة أمريكا التي عليها أن تعلنها صراحةً بعد أن أعلنتها في الخفاء وبتدجيل إعلامها الكاذب، نعم هُزمت أمريكا بفضل الله عز وجل، أمريكا التي ما زالت تتبجَّح وما زالت تصرخ وما زالت تظن نفسها هي شرطي العالم كما كانت، لقد ولَّى ذلك الزمن يا أمريكا، إنه زمن الإسلام القادم، إنه زمن التمكين، إنه زمن راية لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

نعم، هُزِمت أمريكا فها هي تسحب وتجرُّ أذيال الهزيمة في خزيٍ وهوانٍ وذلٍّ وخذلان من العراق، ويقول كذَّابهم الأشر سترجع قواتنا من العراق وهي مرفوعة الرأس!

أي رأسٍ سترفعه قواتك أيها الأبله بعد أن مُزِّقت أجساد جنودك وصارت مطعمًا لكلاب العراق؟! مرفوعة الرأس؟! أي رأسٍ هذا؟! إلا أن يكون رأس الذهول لما رأوه على أيدي عباد الله المجاهدين

وعلى أيدي جنده المخلصين هناك.

نعم ستنسحب أمريكا من العراق في ذلٍّ وهوانٍ وخزيٍ بعد أن لُقِّنت درسًا في بلاد الإسلام لن تنساه أبدًا، درس سيبقى عبرةً تذكره أجيالها جيلاً بعد جيل، وها هي أمريكا تترنَّح في أفغانستان بعد أن غرقت في هذا الوحل الذي حُذِّرت من الدخول إليه، حذَّرها العقلاء ممن جرَّبوا ورأوا في الاتحاد السوفيتي، ولكنها ركبت رأسها واستكبرت وتمادت ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

فأمريكا اليوم تترنَّح في أفغانستان، وفي هذه السنة قد ذاقت من العمليات باعترافهم هم وإقرارهم ما لم تره من قبل وما لم تذقه طوال عشر سنوات، في ميدان (وردك) حيث حصلت عليهم من المجازر ما لم ينسوه أبدًا بإذن الله عز وجل. وهذه الهزيمة التي ذاقت مرارتها أمريكا لم تحصل بين عشيَّةٍ وضحاها، ولم تقع بعصى سحرية، وإنما -كما قلنا- حصلت بجهدٍ لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، والمنَّة لله سبحانه وتعالى وحده، حصلت بعد صبرٍ وطول عناءٍ، وشدة تحمل، وتوالي كروب، وتتابع شدائد، ولكن صبر لها الرجال صَبْرَ الجبال حتى انهزمت أمريكا.

نعم أيها المسلمون؛ نبشركم أنَّ أمريكا التي كانت قبل عشر سنوات تتبجَّح وتأمر وتنهى وترفع وتضع قد انتهى أمرها بإذن الله سبحانه وتعالى، وليس لها -بإذن الله- مقام في بلاد المسلمين وإنما مقامها وراء المحيطات هناك حيث لا يسمع صوتها أحد بإذن الله عز وجل.

هذا الحدث -هزيمة أمريكا- تحاول وسائل الإعلام أن تغطِّيها وأن تزيِّنها وأن تلوِّنها وتزوِّقها ولكن ذلك لا ينفع، كل ذلك لا ينفع ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾.

هذا هو الحدث العظيم الكبير في هذه السنة، وما زالت المعركة معها، فإنَّ أمريكا المتجبرة لا زالت تحاول أن تحشد ما استطاعت من عملائها ليقاتلوا عنها بالوكالة، فها هي كينيا تدخل في حماقةٍ وغباءٍ لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى إلى أين؟ إلى أرض الصومال.

يا كينيا، يا أيتها الدولة التي ما دخلت حربًا من قبل، على عقلائك أن يراجعوا أنفسهم فما زالت أثيوبيا النصرانية تنزف من جرَّاء عامين من القتال في أرض الصومال، وبإذن الله سبحانه وتعالى لا يزال في جعبة المجاهدين نيروبي ودار السلام، فعلى كينيا أن تفهم الدرس وعلى كينيا أن تتعظ قبل أن تغرق في ذلك الوحل الذي لا يرحم فتسحب قواتها من الصومال.

نعم، فإذن قلنا إنَّ أمريكا الآن تريد أن تستخدم نوعًا جديدًا من الحروب وهي حرب الوكلاء، تأمر الجيش الباكستاني ليقاتل المجاهدين من إخواننا في (تحريك طالبان) وغيرهم في باكستان، تأمر الجيش اليمني ليقاتل إخواننا في أنصار الشريعة في اليمن، تأمر الجيش الكيني ليقاتل إخواننا من الشباب المجاهدين في الصومال.. وهكذا، ولكن النتيجة واحدة، فإذا كانت أمريكا قد دخلت بجيوشها ورجالها فمُزِّقت أجسادهم، فإنَّ نفقاتها على هذه الجيوش التي لا تشبع ستُنهِك اقتصادها -وهو

مُنهك-.

وأما الحدث الثاني في هذه السنة؛ فهو الثورات الكبيرة والانتفاضات العارمة التي قامت بها شعوبنا المسلمة في بلدان الدول العربية، وهذا بتوفيق الله سبحانه وتعالى، وبعد أن عرفت شعوبنا مكمن الداء الذي وصفه لنا النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: "يوشك الأمم أن تتداعى عليكم -أو أن تداعى عليكم- كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" يعني عن قريبٍ ستتداعى عليكم الأمم، يعني سيدعو بعضها بعضًا ويتجمَّعوا ويتهافتوا عليكم ليحتلوا أرضكم ويأخذوا أموالكم ويستعيدوا الأراضي التي أُخِذت منهم، قالوا: أَوَ مِنْ قلةٍ نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ يعني أيكون هذا بسبب قلتنا؟ قال: "لا، أنتم يومئذٍ كثير" أعدادكم كثيرة، الآن نقول إنَّ عدد المسلمين مليار ونصف المليار مسلم ولكن الأمم قد تداعت عليهم، حلف الناتو، هذه أمم من الكفار قد اجتمعوا على المسلمين في أفغانستان، والاتحاد الأفريقي قد اجتمع على المسلمين في الصومال.. وهكذا، هي اسمها الأمم المتحدة، كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم، وكل هذه الجيوش إنما جاءت تحت غطاء الأمم المتحدة، فقد تداعت علينا الأمم، ومَرَدُّ ذلك ليس إلى قلة أعدادنا فنحن مليار ونصف المليار مسلم، قال: "بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل" كزبد السيل، يعني له انتفاشة ولا وزن له، تراه كبيرًا منتفخًا منتفشًا إلا أنه عبارة عن أكوامٍ من الأوساخ والزبد الذي لا قيمة له ولا وزن له "ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن"، قالوا: وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت" أو "حب الدنيا وكراهيتكم القتال" قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله سبحانه وتعالى ينزع من صدور عدوكم المهابة منكم، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "نُصرت بالرعب مسيرة شهر" هذا الرعب الذي خُصَّت به هذه الأمة وخُصَّ به نبيُّها صلى الله عليه وسلم يُنزَع من قلوب أعدائنا، يعني يصبح أعداؤنا لا يبالون بنا لا يخافوننا، لماذا؟ لأننا غثاء كغثاء السيل، لا عقيدة ولا توحيد ولا إيمانٌ راسخ ولا إعدادٌ في سبيل الله ولا اتفاقٌ واجتماع، وإنما هو التفرُّق والتشرذم والاختلاف والانكباب على الدنيا والتشبُّث بزهرها، فمن أين سيَرهبنا أعداؤنا؟

قال الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾.

"ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن" يعني يجعل الله سبحانه وتعالى في قلوبكم -أيها المؤمنون، أيها الغثاء- سيجعل الله سبحانه وتعالى في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت" قال العلماء هما داءان متلازمان حب الدنيا وكراهية

الموت لا ينفكان عن بعضهما؛ فمن أحب الدنيا كره الموت، لأن حرصه على الدنيا وتمسكه بها يجعله يخاف من الموت، لا يريد أن يخرج من الدنيا.

فعندما تفطَّنت أمة الإسلام إلى هذا الداء، وألقته من قلوب أبنائها، وانتفضت في وجه الطغاة، ورفعت شعاراتٍ تدل على هذا المعنى "الموت ولا المذلة"، عند ذلك استطاعت أن تقلب الأمور رأسًا على عقب، فأزاحت أوتاد الكفر وأركان الطغيان وفراعنة العصر في أيامٍ معدودات، فهذا زين العابدين الذي عُرِف بمجاهرته لحرب الله ورسوله ولتدخله في كل شيء مما يخص أمة الإسلام، حُرِمت النساء من الحجاب، أصبحت المساجد بالبطاقات؛ تريد تدخل إلى المسجد تصلي لا بد أن يكون لك بطاقة إذْن من زين العابدين، شين الشياطين لا بد أن يأذن لك، ممنوع أن تربِّي لحيتك! مالك ومال اللحية؟! مالك ومال منظري؟! ولكنها العداوة لله ولرسوله ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾.

فعندما تجبَّر وطغى وعتى عتوًّا كبيرًا سلَّط الله سبحانه وتعالى عليه ذلك الشعب الذي لا يزال يمسخه ويطمس هويته عقدين من الزمان، وقد سبقه (بو رقيبة) قبله، فأصبح مشرَّدًا تائهًا في الأرض وكان جزاؤه من جنس عمله، فما أكثر إخواننا التونسيون الذين تشرَّدوا في الأرض، في أوروبا في إيطاليا في إسبانيا في فرنسا يبحثون عن لقمة العيش، تشرَّدوا في الأرض، فها هو هذا الخبيث المفسد المحارب لله ولرسوله يعيش لاجئًا خائفًا مشرَّدًا لا يجد له ملجئًا في الأرض إلا عند أعداء الله ورسوله من آل سعود المجرمون.

ثم جاء الدور على فرعون هذا الزمان (حسني مبارك)، هذا العتل الجوَّاظ المتكبر، الذي قتل من المسلمين ما قتل، وسجن ما سجن، والذي جعل شعبًا كاملاً في غزة محاصَرًا في سجن مغلق مطبق من فوق الأرض ومن تحت الأرض، وُعِظ فلم يتَّعظ، ذُكِّر فلم يتذكر، قُوتِل فقاتل، أصرَّ على حرب الله وعلى حرب رسوله وعلى حرب أولياء الله سبحانه وتعالى، وظنَّ أنه قادرٌ عليها، مُكِّن ويهيِّئ الأمر ليستمر الطغيان والتجبر والظلم والبغي على أيدي أبنائه، ولكن الله يمهل ولا يهمل، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ فجاء دوره فانتفض عليه ذلك الشعب الأبي الصابر وتحمَّل في سبيل قلعه وإزالته كل عناء، وكانت معركته معركة حامية؛ معركة أعصاب، معركة إرادة، معركة تحمل، معركة اتحاد، حتى أزال هذا الطاغية المتجبِّر وأراح المسلمين من شره، وها هو الآن قابعٌ وراء القضبان كما كان هناك أكثر من ستين ألف مسلم مجاهد موحد خلف قضبان هذا الطاغية المتفرعن، فكان جزاؤه من جنس عمله.

ثم جاء الدور على مسيلمة العصر القذافي، والذي الآن يلقى جزاءه عند ربه، ذلك الطاغية الذي كان يتصرَّف في شعبه كأنه ملكٌ له، كل يوم يخرج بقرار، ينام ثم يستيقظ ويقرر ما شاء، يأمر ما شاء، يغيِّر ما شاء، يشرِّع ما شاء، وكأنَّ الأرض ليس فيها أحد، لا يجد أحدًا يقول له: لا؛ لا تفعل، إلا قلة من الموحدين الذين صبروا وتحمَّلوا أشد أنواع العناء والبلاء خلف السجون، قُتِل في ثلاث ساعات في ليبيا على جنود هذا الطاغية أكثر من ألف ومائتي موحد في ثلاث ساعات، ولا كأنه فعل شيء، كأنه ذبح دجاجًا لا قيمة له، والله سبحانه وتعالى يملي له لعله يتوب، لعله يرجع، لعله يتَّعظ، ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى في بعض الناس: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) هناك قلوب كالحجارة لا تتَّعظ، ولا تتذكَّر، ولا تلين، ولا ترحم، ولا ترأف، فعندما جاء يومه انتفض عليه الجيل الذي تربَّى في زمنه، القذافي حكم أكثر من اثنين وأربعين سنة، أنا خرجت إلى الدنيا ووجدت القذافي أمامي، لكن الحمد لله لم أخرج من الدنيا حتى ودَّعها هو، اثنين وأربعون سنة وهو يحكم يتسلَّط، يعني ما شبعت من السلطة!1 ما شبعت من الحكم! اثنان وأربعون سنة؟! ثم بعد ذلك انتفض عليه شباب ليبيا الذي ظنَّ أنَّه ربَّاهم على عينه على المعسكرات العقائدية التافهة، فجُنَّ جنونه ما كان يتصور أنَّ رجلاً يقول له لا! فكيف تعترض عليه وتخرج وتقاتل وتهدِّم كتابه الأخضر ومثاباته وغير ذلك؟!

وبعد ذلك صبر ذلك الشعب صبرًا شديدًا، وقُتِل في هذه المعركة؛ معركة الكرامة والتضحية والحرية، أكثر من خمسين ألف ليبي، ولكنه ثمنٌ يجب أن ندفعه حتى نتحرَّر من هؤلاء الطغاة.

فهؤلاء ثلاثة من أوتاد الكفر وأركان الطغيان وعناوين التجبُّر في هذا الزمان قد أُزيلت بفضل الله سبحانه وتعالى، وليس هذا بالحدث الهيِّن، ولكن ما زال أمام شعوبنا الإسلامية الكثير والكثير، إنَّ الغاية من هذه الانتفاضات والمقصد من هذه الثورات لا يتوقف عند إزالة هذه الأركان الطاغية، وإنما يجب أن تكون همَّتنا أعلى ومقصدنا أشد وأكبر؛ وهو تحكيم شريعة الله عز وجل، إنَّ شعبًا دفع ثمنًا أكثر من خمسين ألف شهيد لا ينبغي أن يرضى إلا بحكمٍ من عند الله العلي الكبير، يكون عنوانه (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ)، ولا يرضى بأي حكمٍ جاهلي تحت أي اسمٍ كان، تحت أي لافتة كانت، تحت أي عنوانٍ كان، إنَّه دين الله عز وجل، حكم الله عز وجل، ليس هناك في هذه الدنيا إلا حكمان، فعلينا أن نختار أيهما شئنا؛ إما أن نُحكم بحكم الله سبحانه وتعالى حكم العدل والرحمة الإحسان، وإما أن نُحكم بأحكام الجاهلية أحكام الضنك والشقاء والتعب.. إلى غير ذلك، قال الله عز وجل: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ).

إذن يا شعوبنا المسلمة، لقد انتفضتم على هؤلاء الطغاة، وحطَّمتم حاجز الخوف بفضل الله عز

وجل، ونبذتم عنكم الوهن؛ وهو حب الدنيا وكراهية الموت، فعليكم الآن أن تواصلوا مسيركم، وأن تستمروا في طريقكم؛ طريق الإصلاح، طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي خُصَّت به هذه الأمة وتميَّزت به عن سائر الأمم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ فما زالت الطريق طويلةً أمامكم، فلا ترضوا إلا بحكم الله سبحانه وتعالى، ولا تصغوا إلى أهل الدجل والتزييف الذين يمنُّونكم بحياة الرغد في ظل الديمقراطية والتعددية وحرية التعبير وحرية الأفكار... إلى غير ذلك من التفاهات التي بدأ الغرب ينبذها ونتلقفها نحن، أفي كل مرة نكون تبعًا لغيرنا! لماذا لا نكون أهل استقلال في إرادتنا وحكمنا، وفي حكم أوطاننا؟!

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

إنَّ دين الله سبحانه وتعالى دين الوحدة لهذه الأمة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، ودين الديمقراطية دين التمزيق لأمة الإسلام باسم التعددية، تونس الآن بعد هذه الثورة فيها أكثر من واحد وثمانين حزبًا، واحد وثمانون حزبًا في تونس؟!

أي أفكارٍ هذه التي تنوَّعت وتعدَّدت حتى تفرَّق الشعب فيها على هذه الأقسام؟! وهي قابلة للزيادة، وكل هذا باسم الحرية وباسم التعددية وباسم حرية الفكر أو ما أدري ماذا!

ديننا دين الوحدة دين الاجتماع ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

ديننا دين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ديننا دين النصيحة لكل أحدٍ من عباد الله سبحانه وتعالى.

فهذا هو الحدث الثاني؛ وهو حدثٌ عظيم، ويستحق كثيرًا من الوقفات، وفيه كثيرٌ من العظات والعبر لمن أراد أن يتَّعظ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هم أولاء الطغاة الذين كانوا بالأمس أعزَّة؛ يأمرون وينهون، ويقتلون ويسجنون، ويعطون ويمنعون، ويرفعون ويضعون، ها هم الآن أذلة لا يملكون من أمرهم شيئًا، بعد أن نزع الله سبحانه وتعالى منهم الملك وأعطاه لغيرهم، وهو قادرٌ على أن ينزعه من غيرهم ليعطيه إلى غيرهم، فلنتق الله سبحانه وتعالى ولا نغترّ.

وأما الحدث الثالث في هذه السنة والذي اهتزت له أمة الإسلام؛ هو استشهاد الشيخ البطل المجاهد

المرابط المهاجر الصابر أسامة بن لادن -تقبله الله-، هذا الحدث الذي ظنَّت أمريكا بوقوعه أنها انتصرت وارتفعت وقد انتقمت وأعادت لنفسها هيبتها، ولكن في خلال أشهر ذهب كل ذلك هباءً بعد أن ذاقت على أيدي المجاهدين في أفغانستان وأقرَّت بأنها تلقَّت من الضربات ما لم تذقه منذ عشر سنوات، هذا حتى تعلم أمريكا أنَّ ديننا لا يتعلَّق بالأشخاص، دين الله سبحانه وتعالى وبقاء دين الله عز وجل واستمرار عباد الله في الجهاد والبذل والعطاء والتضحية والفداء لا يتعلق ولا يرتبط بشخصٍ من الأشخاص، ولو كان دين الله عز وجل مرتبطًا بشخصٍ ما لكان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنَّ الانقلاب على الأعقاب بوفاته لا يضرُّ الله شيئًا، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

تُوفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تُفتح فارس ولا الروم، بل انقلبت كثيرٌ من القبائل التي كانت على دين الإسلام انقلبت على أعقابها وحملت السلاح وقاتلت المسلمين، هل انتهى الإسلام؟ هل ذهب الإسلام؟ هل غابت شمس الإسلام؟ كلا، ما حال الحول إلا وقد رجعت الأمور في زمن أبي بكر إلى مجراها، ثم بدأت جيوش الإسلام تفتح الأرض؛ بلاد الروم وفارس وغير ذلك، إذن دين الله لا يتعلق بالأشخاص.

نعم، نحن حَزنَّا لمقتل الشيخ أسامة -رحمه الله- وهذا من طبيعة البشر، فرسولنا صلى الله عليه وسلم عندما قُتِل عمُّه حمزة يوم أحد -وهو يعلم أنه سيد الشهداء وفي الجنة يقينًا- حزن عليه حزنًا شديدًا، وهذا من طبيعة البشر، ولكن الحزن شيء والتغيير شيءٌ آخر، نحن لا نغيِّر طريقنا.

الطريق الذي نسلكه الآن نتقرَّب إلى الله عز وجل به، كل لحظةٍ نقضيها في ساحة الجهاد وفي عبادة الجهاد وفي مراغمة أعداء الله عز وجل فإننا نحتسبها عند الله سبحانه وتعالى، ونرجو أن يُكتب لنا أجرها، فإذن لا يضيرنا بعد ذلك أن نبقى وأن نستمر على طريق الجهاد حتى يمكِّن الله لدينه، ونرى شريعته، ونرى راية الإسلام ترفرف في الأرض، أو أن نُقتل في وسط الطريق أو في آخر الطريق، المهم أن نستمر على طريق الجهاد، فالله سبحانه وتعالى قد سوَّى لنا بين الأمرين فقال الله عز وجل: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فهذا الطريق الذي نسلكه طريقٌ نتقرَّب إلى الله سبحانه وتعالى به.

فمقتل الشيخ أسامة -رحمه الله تعالى، وأسكنه الفردوس الأعلى- لن يغيِّر من موقف المجاهدين شيئًا، ولن يوهن عزيمتهم، ولن يضعف قوتهم بإذن الله عز وجل، بل لو قُتِل قادة تنظيم القاعدة كلهم فإن هذا لن يضرَّ دين الإسلام شيئًا؛ لأن دين الإسلام ليس مرتبطًا بشخصٍ ولا بتنظيم؛ ليس

مرتبطًا بشخصٍ من الأشخاص ولا بجماعةٍ من الجماعات ولا بتنظيمٍ من التنظيمات، فأنا أقول لأمريكا: لا تُمنِّي نفسك (نحن على وشك أن نهزم تنظيم القاعدة)، فليُهزَم تنظيم القاعدة، وليُقتَل قادة تنظيم القاعدة، وليُقتَل كل أفراد تنظيم القاعدة، ثم ماذا؟ إنَّ المعركة التي تخوضها أمريكا اليوم هي ليست معركةً مع تنظيم ولا مع جماعة ولا مع طائفة، إنَّها معركةٌ مع أمة الإسلام، وإن أبت أمريكا إلا أن تُنكر هذه الحقيقة.

إنَّها معركةٌ مع أمة الإسلام التي انتفضت واستيقظت وقامت وبذلت وقدَّمت، وما أفراد وأعضاء تنظيم القاعدة إلا أبناء أمة الإسلام، من أين نزلوا؟ من السماء؟! هم أبناء أمة الإسلام من العرب ومن العجم ومن الترك ومن غيرهم، هؤلاء هم تنظيم القاعدة.

فإذن نحن لا نربط جهادنا بتنظيمٍ من التنظيمات، ولا بقائدٍ من القادة، ولا بطائفةٍ من الطوائف، ولا باسمٍ من الأسماء، ولا بأرض أيًّا كانت تلك الأرض ولو كانت الأرض المقدَّسة، فإنَّ الأرض لا تقدِّس أحدًا وإنما يقدِّس المرءَ عملُه، وإنما نؤدي هذه العبادة ونراغم أعداء الله ونقاتلهم حيثما تيسَّر لنا ذلك، في أفغانستان، في باكستان، في الصومال، في العراق، في الجزائر، في سوريا، في ليبيا، هذا لا يهمنا، وإنما المهم عندنا أن نسير على طريقٍ يرضاه الله سبحانه وتعالى.

فإذن نقول لأمريكا: لا تُمنِّي نفسك بشيء، قُتِل قادة القاعدة أو بقوا، انتهى تنظيم القاعدة أو لم ينته، فإنَّ المعركة مستمرة وإنَّ الحرب بيننا وبينكم باقية، وقد تربَّى على معاني التضحية والشجاعة والبذل والإقدام شبابٌ يحبُّون الموت كما يحب جنودكم الخمر بفضل الله سبحانه وتعالى.

فما قُتِل الشيخ أسامة –رحمه الله– حتى أحيا بكلماته ومواقفه جيلاً من المجاهدين الأبطال الصابرين الثابتين، الذين جرى حب الجهاد في عروقهم، ولا يرضى أحدهم إلا أن ينتصر أو أن يُقتل في سبيل الله عز وجل، يعيشون في الكهوف ليس عندهم في ذلك مشكلة، يعيشون بين الأشجار والأحجار والأودية وفوق الجبال والشِّعَب كل ذلك لا يضيرهم، لأنهم طلَّقوا الدنيا ولا يلتفتون إليها ولا قيمة لها عندهم، فإننا لا ننازعكم في أمرٍ من أمور الدنيا، والله لو كانت المعركة بيننا وبين أمريكا على شيءٍ حقيرٍ تافهٍ من أمور الدنيا لخلَّيناه لكم منذ زمنٍ بعيد وما أرهقنا أنفسنا وما بذلنا دماءنا وما عشنا هذه الغربة في سبيل الله سبحانه وتعالى، ولكن المعركة بيننا وبينكم أكبر من ذلك؛ إنها معركة العبودية لله سبحانه وتعالى، أنتم تريدون منَّا أن نكون عبيدًا لكم خاضعين لسياساتكم تابعين لحكمكم وهذا ما لا يمكن أبدًا ولو انطبقت السماء على الأرض، كما قال ربعي بن عامر –رضي الله عنه–: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" هذا هو عنوان المعركة بيننا وبينكم،

ليست معركة أرض ولا معركة نفط -وإن كان هذا داخلٌ تبعًا- ولكن المعركة هي معركة توحيد، معركة عبودية، معركة اتباعٍ لشرع الله، معركة خضوعٍ لأحكام الله، معركة إيمان، وهذا ما لا نساوم فيه أبدًا، هذا ما لا نساوم فيها أحدًا بإذن الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُعزَّ كلمته وعباده المؤمنين، اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهدين، اللهم انصر عبادك المؤمنين المجاهدين، اللهم مكِّن لهم تمكينًا تحبه وترضاه، اللهم افتح عليهم فتحًا مبينًا من عندك، اللهم اخزِ أعداءك وأعداءهم، اللهم أذلَّهم، اللهم مزِّقهم، اللهم دمِّرهم، اللهم سلِّطهم على بعضهم، اللهم سلِّطهم على بعضهم، اللهم سلِّط عليهم أولياءهم، اللهم سلِّط عليهم جندك وعبادك المؤمنين.

اللهم صلِّ على خير خلقك محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.



www.nokbah.com